فن الرسائل (١)

إيضاح :

كتابة الرسالة فن من فنون الإنشاء الأدبى ؛ لأنها تعبير عن شئ يدور فى نفس كاتبها يريد إبلاغه إلى آخر .

وليس التعبير عمّا فى النفس بالأمر الهيّن ، ولا بالميسور لكل من أراد الكتابة إلى غيره .

فإذا شئت أن تسجل خواطرك - العامة أو الخاصة - فى مذكراتك ، فلك أن تكتب كما تشاء ، وليس من حرج عليك إن كتبت بالمنهج الذى تريده ، أو غير هذا ، أما إن خرجت على الناس بكلماتك ، وموضوعاتك ، فالأمر هنا مختلف كل الاختلاف ؛ لأنك فى هذا الشأن ، تحتاج إلى ترتيب الأفكار ، فتبدأ بالأوّلى ثم ما يليه ، وكذلك تحتاج إلى اختيار الألفاظ المناسبة للموضوع الذى تكتب فيه . فلكل موضوع ألفاظه التى تتناسب ومعانيه ، ولكل موضوع مساحته المناسبة من الأسطر أو الصفحات ، والرسالة هى من تلك الموضوعات التى تخرج بها على الناس ، إلا أنها تختلف عن جميع الموضوعات الإنشائية ، فى كونها عملاً كتابيًا موجهًا إلى شخص معين فى ظروف مخصوصة .

وهذا التعيين ، وهذا الخصوص ، **يُلْزِمان الكاتب بالآتى** :

- **تعيين الفكرة** التى يتناولها فى الرسالة تعيينا واضحا محدودا ، لا يُفَرِّعه إلى أفكار جانبية تُضَيِّعُ على المرسلِ إليه أن يدرك حدود ما يقصده المرسل .

- **اختيار الكلمات المناسبة لطبيعة الموضوع** ، فالكلمات التى تناسب العتاب تغاير الكلمات المناسبة لدعوة إلى زيارة ، وما نكتبه فى رسائل الشوق يختلف عما نكتبه فى رسائل التحذير أو التهديد ، وهكذا تختلف ألفاظ كل رسالة عن غيرها تبعا لموضوع الرسالة .

- **اختيار الكلمات المناسبة للشخص المرسل للشخص المرسل إليه** ، فالرسالة إلى والد تختلف عن رسالة إلى صديق ، والرسالة إلى مسئول كبير ، تختلف عن رسالة

(١) انظر (التعبير اللغوى) - مكتبة ابن سينا .

إلى مسئول محدود السلطة والمسئولية . والرسالة من مسئول أدنى إلى أعلى ، تختلف عن الرسالة من الأعلى إلى الأدنى . والرسالة من أب إلى ابنه ، تختلف عن الرسالة من ابن إلى أبيه .

وهذا الاختلاف بين المرسلِ إليه يحتاج إلى اختيار الكلمات التى تتناسب مع طبيعة المرسَلِ إليه .

مراعاة كمِّ السطور التى يطرح فيها الكاتب فكرته ، فلكل فكرة ما يناسبها من السطور . ولا بأس أن تقلَّ السطور أو تزداد ، فالعبرة بما يحتاج إليه الموضوع من مساحة الصفحة أو الصفحات ، وليست بما يرغب فيه الكاتب من كلمات وجمل .

فطولُ الرسالة فى غير ما يجب ، يدعو إلى ملل المرسلِ إليه. وقِصرُها يضيِّع الهدف منها .

أنواع الرسائل

*****

تختلف أنواع الرسائل باختلاف المرسِلِ والمرسَلِ إليه ، وفى ظل هذا الاختلاف تنوعت الرسائل بين الآتى :

١- الرسائل الاجتماعية .

وهى الرسائل التى تجرى بين اثنين تربط أحدهما بالآخر علاقة القربى وهى علاقة الأفراد فى الأسرة ، أو علاقة الأصدقاء ، أو علاقة الجوار . وقد عرفها الناس فى العصور السابقة باسم « الرسائل الإخوانية »

٢- الرسائل الحكومية .

وهى الرسائل التى تجرى بين جهة حكومية وأخرى مثلها ، أو جهة حكومية ومواطنين . أو بين المواطنين وجهة حكومية .

وهى ما عرفها الناس فى العصور السابقة باسم « الرسائل الديوانية » نسبة إلى ديوان الحاكم .

٣- الرسائل العلمية ، والأدبية .

وهذه لا تندرج فى إطار الرسائل التى تجرى بين مرسِلٍ ومرسَلٍ إليه ، بل هى البحوث العلمية أو الأدبية التى يتقدم بها أصحابها إلى جهاتٍ علميةٍ بغية الحصول على درجة علمية . هى ما عرفناها باسم « الماجستير » أو « الدكتوراة » . وليس هذا مجالها[1] .

---

(١) ذكر هذا النوع من الرسائل فى هذا الكتاب . من باب إتمام الفائدة فى معرفة كلمة «الرسالة».

الرسائل بين الماضى والحاضر

*****

لعبت النهضة البريدية دورها فى اتساع نشاط المراسلة .

ولولا تطور النظام البريدى ، واتساع دائرته على مستوى الكرة الأرضية فى عصرنا الحاضر ، لأعفينا أنفسنا من الحرص على تناول أمر الرسائل وما تقتضيه من لغة وبلاغة .

فقد كان التراسل فى الماضى يتم فى حدود ضيقة ، تبعا لما تقتضيه حاجة الحكام فى مراسلة الولاة فى المدن والأمصار .

ولم يكن التراسل بين الأفراد موجودا على النحو الذى نراه فى عصرنا هذا ، فما كان بمقدور شخص أن يرسل إلى غيره إلا من خلال القوافل ، أو عن طريق الأفراد الذين ينتقلون من مكان إلى آخر ، أو بلد آخر سعيا وراء أغراضهم الخاصة، ومن هنا كان إرسال الرسائل أمرا لا يتيح للمراسلة مداها الذى يمكّن كل فرد من مراسلة غيره فى يسر وسهولة .

لكنا فى عصرنا هذا ، نشهد نهضة بريدية ، مكنت الناس على اختلاف أماكنهم على الكرة الأرضية من مراسلة ذويهم فى أى مكان على الكرة الأرضية ، هذا من حيث وسائل المراسلة .

أما من حيث الاستعمال اللغوى ، فقد خضع أسلوب الرسائل إلى أساليب اللغة، تبعا لما خضع إليه أسلوب الكتابة فى عمومها فى كل عصر .

وفى الصفحات اللاحقة بعضٌ من نماذج الرسائل فى الماضى والحاضر لا يقصد بعرضها هنا أن تكون نموذجًا يجب اتباعه بل قُصِدَ به الاطلاع من باب التزوّد الثقافى فحسب ، ذلك لأن الرسالة فى لغتها ، وفى حدودها الاجتماعية إنما تخضع لطبيعة العصر الذى تتم فيه المراسلة .

وفى السطور التالية نماذج لبعض من الرسائل فى الماضى والحاضر .

رسالة رسول الله ﷺ
إلى المقوقس حاكم مصر [1]

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط . سلامٌ على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، فأسْلِمْ تسلمْ يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم القبط ، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

*****

رسالته ﷺ
إلى النجاشى ملك الحبشة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ رسول الله إلى النجاشى ملك الحبشة ،

أما بعد ، فإنى أحمد إليك الله الملك القدوسَ السلامَ المؤمن المهيمنَ ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه كما خلق آدم . وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاةِ على طاعته ، وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فإنى رسول الله ، وقد بعثت إليك ابن عمى جعفراً ونفرا معه من المسلمين ، فإذا جاءك فأقِرّهم ودع التجبّر ، فإنى أدعوك وجنودك إلى الله ، فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحى . والسلام على من اتبع الهدى » .

*****

(١) د. حسن إبراهيم حسن «تاريخ الإسلام» .

رسالة عمر بن الخطاب
إلى قائد جيوشه سعد بن أبى وقاص

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ؛ فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب .

وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ؛ فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم . وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوةٌ ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عُدَّتُنا كعُدّتهم ، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلا نُنْصَرْ عليهم بفضلنا لم نغلبْهم بقوتنا . فاعلموا أن عليكم فى سيركم حَفَظةً من الله يعلمون ما تفعلون فاستحوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدوَّنا شرٌّ منا فلن يُسَلَّطَ علينا ؛ فرب قوم سُلِّط عليهم شرٌّ منهم كما سُلِّط على بنى إسرائيل - لما عملوا بمساخِطِ الله - كفارُ المجوس .. واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم .

وترفّق بالمسلمين فى مسيرهم ، ولا تجشمهم مسيرا يُتْعبُهم ولا تقصر بهم عن منزل يَرْفُق بهم حتى يبلغوا عدوهم ، وأقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يُحَيُّون فيها أنفسهم ، ويرمّون أسلحتهم وأمتعتهم ، ونَحِّ منازلهم عن قرى أهل الصلح والذِّمّةِ فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه .. فإن لهم حرمةً وذمة ، وإذا وطِئت أرض العدو فأذْكِ العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك أمرهم، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه ؛ فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدَقَك فى بعضه ، والغاشُّ عَيْنٌ عليك وليس عينا لك ، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتَبُثَّ السرايا بينك وبين عدوك فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم ، وتَتَقَّ للطلائع أهل الرأى والبأس من أصحابك، وتخيّرلهم سوابق الخيل ، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلاد ، ولاتخصَّ بها أحدا بهوىً فتضيِّعَ من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك .

والله ولى أمرك ومن معك ، وولى النصر لكم على عدوكم ؛ والله المستعان ؛ والحمد لله رب العالمين .

رسالة عمر بن الخطاب فى القضاء
إلى أبى موسى الأشعرى (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمرَ بن الخطاب إلى عبد الله بن قيس[١] .

سلام عليك ، أما بعد ، فإن القضاء ، فريضة محكمة ، وسُنَّة متبعة ، آس[٢] فى الناس بين وجهك وعدلك ومجلسك ؛ حتى لايطمع شريف فى حَيْفِك [٣] ولا ييأس ضعيف من عدْلك . البيّنة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلاصلحا أحلّ حراما ، أو حرّم حلالاً .

لا يمنعك قضاء قضيْته اليومَ فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرُشْدك أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم [٤] ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهمَ فيما تلجلج [٥] فى صدرك مما ليس فى كتاب ولاسنة ، ثم اعرف الأشياء ، والأمثال ، فَقِسْ الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى ، وأشبهها بالحق .

المسلمون عُدول بعضهم على بعض [٦] إلا مجلودا فى حد [٧] أو مجربا عليه شهادة زور ، أو ظَنينًا [٨] فى ولاء أو نسب .. وإياك والغلق [٩] والضَّجَرَ والتأذّىَ بالخصوم ، والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق فى مواطن الحق يُعظِمُ الله به الأجر ، ويُحْسِنُ به الذُّخْرَ ، فمن صَحَّتْ نيته وأقبل على نفسه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلّق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه [١٠] الله ، فما ظنك بثواب عندالله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته ؟ والسلام .

*****

(*)بتصرف .　　(١) هو أبو موسى الأشعرى .　　(٢) آس : ساوِ .
(٣) الحيف : الظلم .　　(٤) قديم : (أى سابق على الباطل) .
(٥) تلجلج : تردد (أى جعلك في حيرة بين أمرين) .　　(٦) عدول : منصفون .
(٧) أى جُلد فى حد الزنا أو القذف أو غيرهما .　　(٨) الظنين : المتهم .
(١٠) شانه : (قَبَّحه) وهى ضد : (زانه) .　　(٩) - الغلق : شدة الغضب .

من رسالة المنصور إلى ابن هبيرة(*)

*****

أرسل (يزيد بن عمر بن هبيرة) إلى المنصور يدعوه إلى المبارزة ، فكتب إليه المنصور . رسالة ، منها ما يأتى :

«يابن هبيرة إنك امرؤ متعدٍّ أطوارك (١) جار فى عَنَانِ غيِّك ..وقد بلغنى أن أسدًا لقى خنزيرا ، فقال له الخنزير : قاتِلْنِى ، فقال الأسد إنما أنت خنزير ، ولست لى بكُفءٍ ولا نظير ، ومتى فعلت الذى دعوتنى إليه فقتلتك قيل لى : قتلت خنزيرا ، فلم أعتقد بذلك فخرا ولا ذكرا (٣) وإن نالك منى شيء كان سُبَّةً علىَّ ، فقال : إن أنت لم تفعل رَجَعْتُ إلى السباع ، فأعلمتها أنك نكلت عنى وجَبُنْتَ عن قتالى ، فقال الأسد : احتمال عارِ كذبك أيسر علىَّ من لَطْخِ شاربى بدمك » .

رسالة الخليفة المنتصر إلى قائد جيشه المتجه إلى أرض الروم(٤)

(عَهِدَ الخليفة إلى وزيره أحمد بن الخطيب بكتابة هذه الرسالة) .

«قال عز وجل آمرا بالجهاد مفترضا له : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) ﴾ (٥) .

وليست تمضى بالمجاهد فى سبيل الله حال لايكابد(٦) فى الله نصيبًا ولا أذى ولا ينفق نفقة ولا يقارع (٧) عدوا ، ولا يقطع ، ولا يطأ أرضا ، إلا وله بذلك أمر مكتوب(٨) وثواب جزيل وأجر مأمول ، قال الله عز وجلّ :﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ(٩) فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢١) ﴾(١٠) ..

(*) نقلا عن كتاب (صور من النثر العباسى) للدكتور محمد مصطفى منصور .

(١) أطوارك : حدودك . (٢) الكُفءُ : المِثْلُ . (٣) ذكرا : (أى ما يذكرنى به الناس) .

(٤) نقلا عن كتاب (تاريخ الأدب العربى - العصر العباسى الثانى) للدكتور شوقى ضيف .

(٥) سورة التوبة آية ٤١ . (٦) يكابد : يعانى ويقاسى .

(٧) يقارع : ينازل ويقاتل . (٨) أى مقدر .

(٩) المخمصة : الجوع الشديد . (١٠) سورة التوبة آية ١٢٠ .

وليس من شىء يتقرب به المؤمنون إلى الله عز وجل من أعمالهم ، ويسعون به فى حطّ أوزارهم[1] وفكاك رقابهم [2] ويستوجبون به الثواب من ربهم إلا والجهاد عنده أعظم منزلة ، وأعلى لديه رتبة ، وأولى بالفوز فى العاجلة والآجلة [3] ؛ لأن أهله بذلوا لله أنفسهم؛ لتكون كلمة الله هى العليا ، وسمحوا بها دون مَنْ وراءهم من إخوانهم وحريم المسلمين وَوَقَمُوا [4] بجهادهم العدو ».

من الرسائل فى العصر الحاضر

*****

تقديم :

موضوعات الرسائل ، وأساليبها ، من الأمور التى تختلف من عصر إلى عصر ، رغم أن الناس جميعا فى كل العصور العربية يكتبون باللغة العربية ، فإن الموضوعات التى يكتبون فيها تختلف فى كل عصر عن غيره ، وذلك لاختلاف ظروف الحياة ، واختلاف وسائل المعيشة .

وتستطيع - أيها القارىء الذكى - أن تدرك الفروق بين أساليب الرسائل ، فتعرف أن لكل عصر أسلوبه وموضوعاته ، وقد قرأت فى الصفحات السابقة بعض النماذج من رسائل العصور السابقة ، وإليك فى الصفحات الآتية بعضا من نماذج الرسائل فى العصر الحديث .

وفى هذا وذاك مجال خصب يتسع به أفقك ، وتزداد به ثروتك الفكرية واللغوية فى ميدان الرسائل .

*****

(١) الأوزار : جمع (وزر) وهو الذنب .
(٢) أى عتق رقابهم .
(٣) العاجلة : الدنيا ، والآجلة : الآخرة .
(٤) وقموا : قمعوا وهزموا .

من رسائل المفكر والأديب العربى
عباس محمود العقاد إلى أحد أصدقائه

*****

كتب عباس العقاد إلى صديق له اسمه (صدقى) رسالة يقول فيها : «أخى السيد / صدقى :

اتفقنا على إصدار «الضياء» ونرجو أن نحمد مغبَّة [1] الاتفاق ولاتَسَلْ عن الشواغل الكثيرة - الصغيرة - الذى يستدعيها إصدار صحيفة يومية : من إعداد المكان الذى تتوافر فيه الشروط ، إلى إحضار الأثاث الضرورى ، إلى اختيار المحررين ، وموظفى الإدارة الأُمناء ، إلى طلب النور والغاز والتليفون وما إلى ذلك من صغائر لا تعيها الذاكرة ، وما نزال فى هذه الشواغل إلى الآن عسى أن تنتهى بابتداء العمل لنبدأ فى نوع آخر من الشواغل إلى انتهاء الحياة !!

- خاطبنى (الطناحى) أفندى فى كتاب سعد ، وعرضت عليه اقتراحاتى ولم يحصل بعد ذلك جديد .

- ربما صدرت الصحيفة فى أول فبراير ، وكان رجاؤنا أن تصدر قبل ذلك ولكن الاستعداد لها يحتاج إلى بعض العناء والانتظار ..

وسلامى إليك وإلى من لديك وتحيات وأشواق .

(عباس).

---

(١) المغبّة : العاقبة (سواء أكانت طيبة أو سيئة) .

من رسائل توفيق الحكيم
إلى «هيدى» زوجة ابنه

*****

بنتى العزيزة هيدى :

وصلت إلى باريس يوم السبت الماضى كما تعلمون فوجدت باريس فى شدة الحرارة والناس تسير فى الشوارع والعرق يسيل من وجوههم فأسرعت إلى حجرتى فى الفندق وخلعت ملابسى ، واستلقيت على الفراش من الإرهاق ، وفى اليوم التالى ذهبت إلى (حسين فوزى) فوجدته ترك لى رسالة بأنه سيقيم مع زوجته المريضة خارج باريس فى المصحّة وذلك طوال سبتمبر ؛ ولذلك أسرعت ورتبت كل مقابلاتى خلال يومين فقط ثم حجزت تذكرة العودة إلى مصر آخر الأسبوع وأنا مشتاق إلى بلكونتنا على البحر فى سيدى بشر الذى لايعرف الحر الذى صدمنى فى باريس ، وخصوصا فى شهر سبتمبر وظهورالسّمان ، وسأمكث مع بنتى سوزى حتى أواخر سبتمبر وألحق أصحابى قبل عودتهم إلى القاهرة ، ولكنى ذهبت إلى اليونسكو وتأكدت من مواعيد المؤتمر فى نوفمبر فقالوا لى إنها تبدأ يوم ١٢ نوفمبر . ولكنى لابد أن أحضر قبل هذا التاريخ بيومين على الأقل للاطلاع على البرنامج النهائى ، وبالطبع أول شىء سأعمله حضورى فى باريس فى أوائل نوفمبر هو الاتصال بكم تليفونيا ، فإلى هذا الموعد إذن ولك أطيب تحياتى وأجمل تمنياتى .